طلعنا عالحريّة

حرية كرامة مواطنة

العدد 52

2015 / 7 / 17

الزبداني، وثورتها العظيمة

- الثورة السورية إذ تدخل عامها الخامس
- طريق العسكر إلى القدس
- المقاومة حزناً!
- الموقف من الغرب.. بين الإسلاميّين والعلمانيّين
- الصفقة النووية: سياقها ودلالاتها
- عن (فارس) بائع الورد ومانح الحب

مد وجزر

افتتاحية بقلم ليلى الصفدي

مرة أخرى تعود طلعنا عالحرية للإصدار المطبوع بعد توقف دام ستة أشهر متواصلة، ومرة أخرى نعود لنعتذر من قرائنا ومتابعينا وكتابنا الأعزاء عن هذا الغياب المتكرر للمرة الثالثة. نحاول إيجاد الأعذار بالحديث عن المعوقات والمصاعب وهي كثيرة.. بينما نغبط جرائد أخرى زميلة على استمراريتها الدائمة ومثابرتها العجيبة في صدورها المنتظم طوال سنوات الحرب الماضية.

ولنكن صريحين، فلسنا خبراء في استجلاب الدعم اللازم لتغطية نفقات هذا الاستمرار.. ولا نحن بارعون في الاتصال بالمؤسسات الداعمة وتزويدها بما لا ينتهي من أوراق وقوائم، ناهيك عن الآلية التي يتم اتباعها من قبل هذه الجهات بتعاطيها الحذر مع الجدية والكفاءة وإهمالهما، بالتزامن مع تمرير أجندات قد لا تتلاءم مع استقلالية طلعنا عالحرية ورغبتها في البقاء خارج الخطاب النزاعي المنتشر.

لم نتمكن يوماً من توظيف شخص خبير بهذا المجال نظراً لعجزنا المالي الدائم أو لأن كثير من النشطاء لا يتعاملون مع منتجات الثورة بالجدية والاحترافية اللازمتين.. أو ربما لسوء إدارتنا واستمرارنا بالاعتماد على نخوة أصدقاء لنا من هنا وهناك.. وعلى سيرة الأصدقاء فإنهم يتبدلون موسمياً؛ فيقترب بعض بينما يبتعد آخرون، وتبقى المجلة تعاني تبعات هذا المد والجزر، كما الواقع السوري تماماً.

ولنتحدث أيضاً عن عقبة أخرى تقف في وجهنا.. هبوطاً وصعوداً.. المزاجية.. نعم المزاجية، لكنها ليست تلك المزاجية المترفة أو المتعالية فوق الواقع، بل هي المزاجية المنغمسة بالهم والدم والجوع.. باليأس وأنات الأطفال والخوف الجاثم من قادم أكثر فظاعة.

لم أقو يوماً على الحزم أمام تكاسل أسامة وهو الذي لم يغادر تلك البقعة المحاصرة منذ سنوات.. ولا زال يكتب عن السلام والمقاومة بالفرح (بالحزن هذه المرة!).. كما أعجب أحياناً من تفاؤل أوس المنغمس في عمله الطبي ضمن أصعب الظروف.. وأتململ أمام تعقل أبو القاسم وإصراره على دولة المواطنة.. وأستوعب مراراً وتكراراً ميرال ووعوده التي لا تأتي أمام لباقته ودماثته وانشغاله بما هو مفيد في مكان آخر... ولن أنسى هاني وسمير واستجابتهما الدائمة بإبداعهما الذي لا ينضب ربما لأن العالم غدا أكثر كاريكاتوريا... وكتابنا الأعزاء الذين أحييهم فرداً فرداً، وحدهم مصممو الغرافيك نجحوا دائماً في إثارة حنقي.

وعن نفسي فلن أزايد على آلامكم بالحديث عن اللاجدوى.. عن يأسي وعجزي، عن مدّي وجزري ومحاولتي إشغال نفسي بما هو مفيد أو غير مفيد كي أتجنب الإحساس بالموت.

ما أعرفه تماماً أننا جميعاً نحاول العمل بصدق وحسّ عنيد بالانتماء، نبحث عن الأمل بين ركام الواقع.. لم نزين البشاعة يوماً.. لا نخدع الناس بوعود كاذبة.. ولا نحول البحر إلى طحينة.

لا زلنا نحب سوريا ونتأمل خيراً بشعبها المظلوم.. وسنبقى بحدود قدرتنا نعمل من أجل أن نحمي بقايا الإنسان فينا..

هي محض مصادفة أن نستأنف الإصدار في يوم العيد، فكل عام وأنتم بخير.. ولنحتفل قليلاً من أجل أن تنتصر الحياة.

الثورة السورية إذ تدخل عامها الخامس

د. محمد العمار

في مستهل العام الخامس للثورة السورية، يتلون مشهد العنف الضارب في سوريا بألوان جديدة، وتضيع البوصلة لدى العديد من الفصائل، فتتغير الوجهة وتتعدد الجبهات، وتسيطر على المشهد النزاعات الفصائلية البينية، وتكون أشدها ضراوة تلك التي تدور بين الفصائل التي تتقارب في منابتها الايدلوجية، لكن الذي يعرف الجذور الثقافية لمعظم الفصائل يعرف أن المرض سيصيب الجميع، لأن الفصائل جميعا تنحدر من جذور ثقافية مشتركة، فالثقافة العربية ككل الثقافات الإنسانية هي ثقافة مشبعة بالعنف، لم تتح لها فرصة الدراسة النقدية التي تتيح لها التعرض لضوء المعارف المعاصرة، ولم تعطها المناخات السياسية العالمية والإقليمية الفرصة للتنفس الطبيعي والالتفات إلى الذات للتفكر والمراجعة، بل ما زالت المنطقة منذ مطلع عصر النهضة ضحية للعنف الناتج عن الاستعمار بأنواعه، وهذا العنف بنجاحاته وإخفاقاته يعزز الموروث الثقافي الذي يجعل السيف أصدق أنباء من الكتب.

وكانت إخفاقات محاولات التغيير العنيف في العالم العربي خلقت حالة من اليأس من إمكان التغيير عبر العنف المسلح، ثم كانت النجاحات الأولى للربيع العربي في تونس ومصر التي عززت الأمل بإمكان التغيير غير العنيف لنظم الحكم المسيطرة منذ عقود.

لكن هذه الصورة الواعدة لم تكتمل فسرعان ما دخل عامل القوة العنيفة على الخط، عند انطلاق الثورة الليبية، وكان المغري هو تدخل الغرب المضلل، والذي كانت غايته الحفاظ على امدادات النفط الليبي القريب للشواطئ الأوربية، لكنه قرئ وتم تسويقه كتدخل لنصرة حرية الشعوب وحقها في الديمقراطية، وانطلقت الثورة السورية ضد نظام هو بالنسبة للغرب نظام وظائفي قدم خدمات لا تقدر بثمن، وإن لم يكف عن المناكفة يوما لكنه يعرف قواعد اللعبة فلا يكسرها، ويعرف الخطوط الحمر فلا يقربها، فقرر الغرب أن يدعم الثورة بلسانه في الوقت الذي يعطي النظام الفرصة للقضاء على الثورة بالسبل الممكنة، وكان من الواضح أن تحديد الرئيس الأمريكي أن السلاح الكيماوي خط أحمر، أن لا حرج على النظام في استخدام كل وسائل الموت والتدمير ما تجنب الكيماوي، وحتى عندما دقت ساعة الحقيقة واستعمل النظام السلاح الكيماوي تبين أن هذا الخط الأحمر خط أحمر زائف وأنه يمكن تجاوزه دون مخاطر، ولذلك أصبح السلاح الكيماوي سلاحا تقليديا في حرب النظام ضد شعبه على مرأى العالم وسمعه.

كل هذا العنف، إضافة للموروث الثقافي حول عسكرة الثورة إلى نزعة عسكرية تسيطر على التفكير وتتصدر قائمة الخيارات في العمل اليومي لمسلحي المعارضة، عزز ذلك سيطرة العقلية السلفية الأحادية التي تعتقد بإمكان امتلاك الحقيقة ووحدتها، وهي لا تعرف التعدد ولا تؤمن بالآخر، في الوقت الذي هجرت فيه كل النخب المثقفة السورية المناطق المحررة التي تتعرض للقصف بالمدفعية والصواريخ والبراميل المتفجرة هربا من الموت أو الإعاقة، وصمتت كل النخب التي تعيش في مناطق سيطرة النظام خشية التنكيل والبطش، هذه المناخات تنذر بتكرار سيناريو الصومة والأفغنة في سوريا، وسيطيل معاناة السوريين لوقت طويل، لكن هذا المسار الذي فرضته المنظومة الدولية والإقليمية كعمل انتقامي من ثورة السوريين وتوقهم للحرية، لن يكون مقبرة لأمال السوريين الطامحين في الحرية والعدالة والكرامة، ولن يكون المجتمع الدولي الذي يخون قيمه بمنجاة من آثاره المدمرة لأن الاخلاق لا تتجزأ والقيم الإنسانية والحضارية لا يمكن احتكارها، فلم يعد العالم كبيرا بحيث تسمح أبعاده باشعال الحرائق في ممتلكات الآخرين بينما تستمتع أنت بالتأمل في لهيبها.

طلعنا عالحريّة
مجلة نصف شهرية تعنى بشؤون الثورة
تطبع وتوزع داخل المدن والقرى السورية
وفي بعض مخيمات اللجوء

للنشر أو مراسلة فريق التحرير
freedomraise@gmail.com

تفاعل معنا عبر صفحاتنا على الإنترنت
www.freedomraise.net
facebook.com/freeraise
twitter.com/freedomraise

المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير
الجريدة غير ملزمة بنشر كل ما يردها من مواد.

هيئة تحرير طلعنا عالحرية
رئيس التحرير : ليلى الصفدي
معاون رئيس التحرير : أسامة نصّار
محررون
أوس المبارك - أبو القاسم السوري
محرر القسم الكوردي
ميرال بيروردا
زملاء مختطفون في الغوطة الشرقية
رزان زيتونة - ناظم حمادي

طريق العسكر إلى القدس

ماهر مسعود

لم تكن نكبة فلسطين نكبةً لفلسطين وللفلسطينيين وحدهم، بل نكبة لشعوب المنطقة العربية برمتها، وليس ذلك لأن النكبة كانت إعلاناً لقيام دولة إسرائيل وتهجير الشعب الفلسطيني فحسب، بل لأنها كانت بداية لسقوط دول المنطقة تحت حكم العسكر، وبالتالي سقوطاً لمعنى الاستقلال، ولمفهوم الدولة ذاته، الذي كان يُؤمل أن يساهم الاستقلال في تحولها إلى دولة/أمة، وكياناً عقلانياً مؤسساتياً حديثاً، فجاء العسكر، بدلالة تحرير فلسطين، ليجعلوا من الدولة كياناً استبدادياً لاعقلانياً مختزلاً في السلطة وحدها.

لقد عبّدت النكبة طريق العسكر إلى السلطة، وإزاحة النخب السياسية المدنية عن واجهة الحياة السياسية التي تشكلت قبل/ وخلال مراحل الاستقلال الأولى، وقد دعم تقدم العسكر نحو السلطة ثقافة شعبية رأت فيهم مخلصين، ووعي زائف بالقوة المفترضة لهم، تعوض الاحساس العارم بهدر الكرامة الناتج عن فقدان فلسطين. لكن تقدم العسكر نحو واجهة الحياة السياسية في غياب فاعلية "الشعب" ومفاهيم المواطنة، وعدم تشكل دولة/أمة، جعلهم يتجهون؛ بوعي منهم أو دون وعي، نحو الولاءات العشائرية والمناطقية والطائفية، حتى لو كانت شعاراتهم وأحياناً "آمالهم الصادقة" متجهة نحو بناء الدولة القوية وتحرير فلسطين. فالطبيعة العسكرية المضادة للدمقرطة، وللاعتراف بالاختلاف، والمحكومة بفرض الطاعة عن طريق القوة العارية والولاء المطلق، لم يكن لها أن تحقق مثل ذلك الولاء؛ في ظل غياب "الدولة الأمة"، دون الاعتماد على القرابات الأهلية والعشائرية والطائفية والمناطقية.

وفي المحصلة نقل العسكر معهم، أصولهم الأهلية وعقائدهم وطرائق تفكيرهم الريفية والتقليدية، إلى الدولة المُسيطر عليها من قبل السلطة السياسية/العسكرية المحض، والتي باتوا هم قادتها. فأصبحت الدولة عبارة عن نظام سياسي عشائري في المضمون، لكنه قائم فوق مؤسسات دولة في الشكل.

النظام العسكري الذي دشنته الانقلابات، ثم استقر مع عبد الناصر، تمأسس وأصبح نموذجاً إرشادياً عند كل من معمر القذافي وحافظ الأسد وعلي عبدالله صالح وصدام حسين. وقد حكم جميع من سبق ذكرهم بدلالة الطريق الطويل إلى القدس، لكن دولاً كبرى كمصر والعراق وسوريا، كان لا يمكن ضبط شعوبها عسكرياً دون صناعة جيوش جرارة، مهمتها المعلنة هي تحرير الأراضي المحتلة، بينما مهمتها المضمرة والحقيقية هي إخضاع المجتمعات وعسكرتها لتسهيل ضبطها، والسيطرة على مقدراتها البشرية والطبيعية والحيوية، لصالح بقائها في السلطة ثم توريثها.

بعد استقرار الأنظمة العسكرية التي لم تتلق إلا الهزائم من اسرائيل، ثم عقد اتفاق "كامب ديفيد" مع مصر، وانشغال العراق بحربها الايرانية الطويلة، لم يبق إلا سوريا التي استقرت "كعشيق مرذول" لإسرائيل، بجبهة آمنة وصامتة صمت القبور الموحشة.

الدولة الوحيدة في محيط اسرائيل، التي لم تتحول إلى سلطة مركزية مسيطراً عليها من قبل العسكر كانت هي لبنان، وهذه بقيت كمجموعة "دول" في "اللا دولة". ولذلك كان لبنان هو المجال الحيوي الوحيد؛ إلى جانب فلسطين ذاتها، الذي حوى مقاومة، بل مقاومات، متعددة، فلسطينية ولبنانية، ومن أحزاب وتيارات متعددة، حزبية وشعبية. وهذا الوضع اللبناني بقي على حاله مزعجاً لإسرائيل وللأنظمة العسكرية معاً، حتى الدخول السوري إلى لبنان والاقامة فيه، ثم السيطرة التدريجية على جميع مكوناته بعد ترحيل منظمة التحرير عن أراضيه باتجاه أراض تونس البعيدة. واستبدال المقاومة الشعبية غير المسيطر عليها من دولة بعينها، بـ "مقاومة" تابعة، ومُسيطر عليها من دولتين حليفتين هما سوريا وإيران.

المقاومة التابعة والطائفية، ممثلة بميليشيا حزب الله، سارت على خطا الأنظمة العسكرية التابعة لها تماماً، بل الأداة الضاربة لتلك الأنظمة في لبنان. وأصبحت بمثابة السلطة المرعبة للشعب اللبناني (سلطة الخراب)، وأداة لابتزازه سياسياً والمزاودة عليه، متكئةً على مشجب التحرير ذاته الذي اعتمدته الأنظمة منذ النكبة.

ربما كان مفيداً في تجربة العسكر وتجربة المقاومة المنبثقة عنها، أن تعي شعوب المنطقة أنها لم تكن إلا مطية للأنظمة ومقاوماتها في مشاريع سلطوية استعبادية ليس لها علاقة بالتحرير ولا بالقدس، وأن مقاومة مدنية كانتفاضة أطفال الحجارة في فسلطين، كانت أهم وأنجح من كل الانتصارات الإلهية لحزب الله وحماس، والانتصارات الخلّبية للأنظمة العسكرية العربية منذ النكبة، وأن الطريق الوحيد لتحرير القدس هو تحرير الشعوب العربية من أنظمتها الطغموية الحاكمة، وبناء الدول المدنية الديمقراطية على أسس المواطنة والحرية.

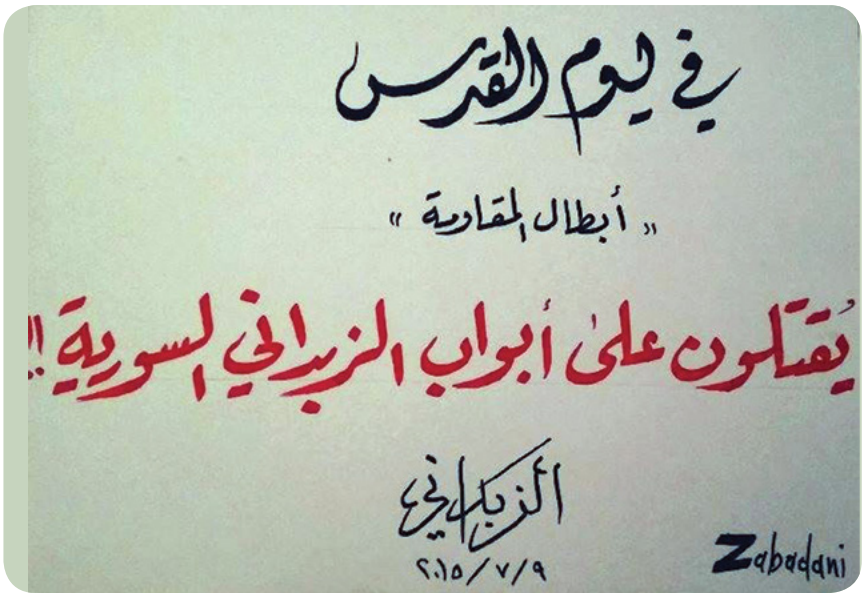

المقاومة حزناً !

أسامة نصّار

لولو قط صغير كان يشاركنا سكننا ومكان عملنا وحصارنا. تجاوز معنا موجات الصقيع والثلج، وتعلّم مثلنا أن يأكل أي شيء يقيم صلبه ولو عافته ذائقته. أصيب أكثر من مرة بشظايا القصف الذي لا يوفّر حجراً ولا بشراً.. ولا حيواناً! نتفقده بعد كل غارة للطيران أو صلية لقذائف المدفعية، ويخرج غير مرة من تحت الأنقاض معفّراً ورشيقاً كما شأن القطط.

وفجأة مات!

هكذا ببساطة. وجدناه مغمضاً لآخر مرة على باب المكتب، دون أن نحصي إن كان استنفد أرواحه السبعة.. أو التسعة!

أمام جثة (زميل السكن) المتخشبة، اختنقت الغصّة في صدري، وتخللني صقيع سام.. لازمه شعور آخر بالذنب لأني حزنت؛ خجلت من استغراقي في الكآبة على قطة (بهيمة) فيما تنعي البلد آلاف الأطفال والآباء والأمهات والشباب، يرتقون شهداء بالجملة والمفرق.

تنازعتني خواطر متناقضة؛ من شعور بالأسى على ما (بل على من) كان يمثله لنا هذا القط المشاكس الذي غاب إلى الأبد. أو محاولة إخفاء الألم لمجاملة من فقد عزيزاً.. من البشر.

استغربت من تقبل ابنتي الصغيرة للمسألة وكأنها تفهم ما لا أفهمه: (لولو مات)! وانتبهت أن الطفلة ذات الثلاث سنين تعرفت على الموت من خلال والد صديقتها وأصدقاء والديها.. قبل أن نجد الوقت لمقاربة الفكرة لها من خلال الأشياء أو الحيوانات.

كنت قد تعلّمت أنه لا ينبغي كبت المشاعر ولا محاكمتها. فليس هناك مشاعر خاطئة. فعدت لتبني حزني على القط؛ نعم أنا زعلان ومن أجل لولو (الحيوان).

قبل مدّة انتشر أكثر من مقطع يرصد وحشية جنود نظام الأسد، منها واحد لمجموعة من الجنود والشبيحة يقومون بإعدام مجموعة من البغال أو الحمير رمياً بالرصاص بلا سبب. ومقابلها صور كثيرة لمقاتل ثائر يطعم قطة صغيرة مثلاً أو لناشط يحنو على حيوان ضعيف.

وقبل الثورة حكى لي صديق كان معتقلاً في سجن صيدنايا العسكري كيف كان السجانون يتسلّون -إذا فرغوا من التنكيل بالمعتقلين- بتعذيب القطط سيئة الحظ التي تصل إلى السجن. يقتلونها شنقاً أو شبحاً أو حرقاً بعد إغراقها بالكاز! ربما ليشحذوا فائض السادية الذي تربّوا عليه.

لهذه الصور دلالة ليست عبثية؛ فالتفوق الأخلاقي للثورة هو وقود لها وضامن لمستقبلها.

صحيح أنه لا يوجد سوري واحد لم ير بعينه جثث أشخاص يحبهم أو يعرفهم، أو أشلاءهم أو صوراً (مسربة) من معتقلات النظام لما تبقى من هياكلهم بعد قتلهم تجويعاً أو تعذيباً... وأكثر من ذلك!

هل علينا أن نكفّ عن الإحساس؟ هل ترتفع عتبة الإحساس عند التعرض الشديد أو المتكرر للألم؟ الجواب (الطبي) هو نعم، لكن ذلك لا يعني أن نتماشى معه ونكفّ عن الإحساس بالآلام الأقل، خاصة ما يتعلق بوجداننا. فالإحسان كُتب على كل شيء.. ولو توهّم كثيرون أن الرفق بالحيوان هو مرحلة متقدمة وكمالية من إحقاق العدالة وحقوق الإنسان، وقالوا بأن الإحسان لغير البشر ترف زائد لا مكان له أمام مزيد من المجازر والبلاوي التي تطال الناس الأبرياء في هذا العالم غير البريء.

لا يريد الطغاة إلحاق الألم بالمستضعفين لغاية الألم نفسه، بل يرمون لما بعد ذلك من تبلّد يصيب المتألّمين فيكفّون عن الإحساس و(يتحيونون) فيسهل أكثر التحكم بهم كقطيع مدجّن.

لذلك تصير مقاومة هذا التبلّد جزءاً مهماً من المعركة في مقاومة الطغاة والطغيان..

المقاومة -هذه المرة- حزناً!

الزبداني، وثورتها العظيمة

أنور عباس

البداية

حظيت لافتات الزبداني بشهرة واسعة بوصفها نموذجا للنضال الثوري الممعن في السلمية والوطنية. سلطت الضوء على قيم الثورة ومطالب السوريين المحقة بالعدالة والكرامة وحكم القانون, وأبرزت تمسك ثوار الزبداني بوطنيتهم السورية, ومحاربتهم للفكر الإقصائي والطائفي, وألهبت حماسة ثوار الزبداني وثوار المدن الأخرى, وبعد أن أصبح من المستحيل, في ظل الواقع المرير الذي آلت إليه المدينة في ظل الحصار والقصف اليومي ونزوح معظم أهلها عنها, رفعها في مظاهرات الحرية, أو خطها على جدران المدينة, أصبحت الإنترنت هي المكان الوحيد الذي ترفع فيه, لكن قيمتها وشهرتها وجمالها لم ينقصوا أبدا.

تقول محدثتنا, ممثلة لجان التنسيق المحلية في الزبداني, بأن مدينتها انبرت للمشاركة في العمل الثوري السلمي منذ اليوم الأول للثورة, حين خرج سبعة عشرة من أبناءها في مظاهرة الكرامة الأولى أمام الجامع الأموي يوم الخامس عشر من آذار 2014, ليعيدوا الكرة في اليوم التالي أمام وزارة الداخلية حيث واجه بعضهم الاعتقال. لم تتردد الزبداني, المدينة الجميلة القابعة على سفح جبلين متقابلين في سلسلة جبال لبنان الشرقية, بالخروج يوم الخامس والعشرين من آذار في أول مظاهرة شهدتها المدينة تضامناً مع درعا التي خرجت منها أولى مظاهرات الثورة العارمة يوم الثامن عشر من آذار. تجمع الأهالي خارج مسجد الجسر بعد صلاة الجمعة, وأطلق الشهيد وسام برهان أولى صيحات الحرية في الزبداني, والتي ترددت كثيرا بعدها, لتكون المدينة مصدر إلهام لكثيرين في أرجاء الوطن السوري الرحب, وزار الزبداني ناشطون من طرطوس والسويداء وسلمية ومدن وبلدات سورية أخرى وشاركوا في مظاهراتها ولمسوا حرص أهلها على الوحدة الوطنية وقيم الثورة النبيلة قولاً وعملاً.

تطور العمل الثوري

تطور العمل المدني في الزبداني بسرعة, وتم تأسيس لجان التنسيق المحلية فيها, وبعد تحريرها, تم تأسيس المجلس المحلي في الزبداني, والذي أوكلت إليه أعمال حماية الممتلكات العامة, وإدارة الأعمال الخدمية, والعمل الإغاثي والطبي وغيرها من المهام.

تقول محدثتنا: سرعان ما انخرط معظم الأهالي في المظاهرات, وأصبحت أيام الجمعة في البداية ومعها أيام الاثنين لاحقا أياما للمظاهرات الأسبوعية التي استمرت أشهراً طويلة, ورفعت فيها شعارات ثورة الكرامة والحرية, وأعلام الثورة, وأطلقت الأهازيج, وأصبحت هذه المظاهرات احتفالات جميلة, تشارك فيها نساء المدينة وفتياتها إلى جانب رجالها على قدم المساواة, فمن العمل الإعلامي, إلى الكتابة وخياطة اللافتات والإعلام والعمل الإغاثي والطبي, لعبت بنت الزبداني دورا بارزاً في العمل الثوري المدني.

كانت مظاهراتنا, تقول محدثتنا, تجوب شوارع المدينة انطلاقاً من ساحة الجسر, وكانت تعج بالحياة والطموح إلى الحرية. أصبحت المدينة خلية عمل ثوري, فمن طباعة مجلة طلعنا عالحرية, إلى التصوير والتوثيق, والبث وإرسال التقارير الإخبارية, كانت الثورة على قدم وساق.

لافتات الزبداني

ظهرت لافتات الزبداني منذ الأيام الأولى للثورة.

يقول خالد خيطو, الذي أبدع مع مجموعته هذه اللافتات, ولازال يخطها حتى اليوم:

"كتبنا اللافتات لنبين مطالبنا الحقيقية والمحقة من مظاهراتنا في الحرية والكرامة والمواطنة والرد على كل ما يقال في تشويه ثورتنا واول لافتة رُفعت في الزبداني تقول " لا سلفية ولا إخوان انا طائفتي الحرية" رداً على بثينة شعبان عندما ظهرت في مؤتمر صحفي تصف المتظاهرين بالعصابات الارهابية ولانتقاد مواقف الدول المعادية لثورتنا وشكر من يساعدنا. كانت لافتات الزبداني صوت الثوار إلى العالم.

شارك الكثير من الثوار والأصدقاء صياغة أفكار هذه اللافتات, وكنا نتناقش ونتفق على الجمل الأنسب من حيث المعنى والمبنى. في البداية كنا نكتب اللافتة الأقوى والأكثر تماشيا مع الحدث الراهن على القماش لترفع في مقدمة المظاهرة, و نكتب أيضاً على ألواح الكرتون لترفع في قلب المظاهرة، ومن ثم كتبنا لافتات مشتركة بين المدن السورية, وكنا نشارك في الأفكار والكتابة حيث نكتب من كل مدينة كلمة يرفعها ثائر من المدينة ونكتب اسم المدينة عليها ونجمعها في لافتة واحدة باستخدام فوتوشوب لتظهر كلافتة واحدة يرفعها عدة أشخاص من مختلف المدن, لنبين للعالم وحدة الشعب السوري, وكتبنا لافتات موحدة من خلال لجان التنسيق

الزبداني، وثورتها العظيمة

المحلية حيث ترفع نفس الجملة بكافة المدن السورية, وبذات الوقت, وعندما بدأ استهداف المظاهرات بقذائف الهاون بعد اقتحام شباط 2012 وتحول الثورة إلى العمل العسكري, صممت على الاستمرار بالعمل السلمي وبدأت بالكتابة على جدران المدينة بأحجار الفحم متعمداً اولاً التذكير المستمر لثوارنا بأهداف ثورتنا, وثانيا تصويرها ونشرها عبر صفحة تنسيقية الزبداني ليراها العالم أجمع, وكانت تصف حال المدنية من حصار واستهداف بالقذائف والبراميل.

ومن ثم بدأنا تشكيل لوحات تمثيلية مع مجموعة من الشباب المحاصر داخل المدينة تتضمن السخرية والانتقاد ووصف الحال. وكتبنا اسماء غالبية شهدائنا في الزبداني, ووصفاً لاستشهادهم وبطولاتهم, ومازلنا نكتب حتى اللحظة ولكن على كرتون فقط وللنشر عبر الانترنت. ترددت اصداء لافتات مدينتي لأنها محقة وصادقة ونابعة من شعب طيب كان يصبو لحريته وكرامته فوقف ضده العالم بأجمعه."

الزبداني تحت النار

شن النظام حملات اعتقال في الزبداني استهدفت الكثير من الناشطين والثائرين, وفرض عليها حصارا خانقا, وأصبح يستخدم قذائف الهاون لاستهداف المظاهرات, ولجأ عدد من أبناءها إلى السلاح للدفاع عنها وأعلنوا تحريرها في كانون الثاني 2012. ثم شهدت المدينة الاقتحام العسكري الأول, وبعدها خضعت لحصار خانق وتعرضت على مدى الأعوام التالية إلى القصف يوميا ونال الدمار من بيوتها وشوارعها, ونزح الكثيرون من أهلها إلى لبنان وإلى القرى المجاورة, وعانت الأمرين من غياب الغذاء والدواء والمحروقات, لكن ثوراها بقوا صامدين يدافعون عنها.

عن الوضع الميداني تقول محدثتنا بأن صمود أبناء الزبداني في الدفاع عنها في وجه الهجمة العتية الحالية يعد أسطوريا. فالمدينة محاصرة من جميع الجهات وتستهدف يوميا بعشرات البراميل والصواريخ والقذائف, ولازال أبناؤها يصدون المحاولة تلو المحاولة لاقتحامها ولم يتمكن الجيش الأسدي وميليشات حزب الله والمليشيات العراقية وما يسمى الدفاع الوطني بالتقدم شبرا واحدا على أي من محاور القتال. وتضيف بأن من يدافع عن الزبداني هم عدد من أبناءها الأبطال وسوريون أخرون انشقوا في الفترات السابقة عن جيش الأسد من الحواجز المحيطة بالمدينة ولجأوا إليها وانخرطوا في صفوف ثوراها, ولا وجود لمقاتلين أجانب في المدينة أبدا.

تبقى الزبداني فصلاً نقياً في كتاب الثورة السورية رغم غبار المعارك, ومعنى جميلا في حياة أهلها ومرتاديها الذين يبحثون عن الظل والماء أو عن معاني الحرية الجميلة, وهي المدينة التي تسرد كل تفاصيل الحكاية السورية, وتشهد على صدق هذه الثورة وما لحق بها جراء إمعان النظام في إجرامه بحقها. وتبقى الزبداني نبضة في قلب كل سوري حالم بالكرامة.

الموقف من الغرب.. بين الإسلاميّين والعلمانيّين

د. عمار العبار

تغلب الثنائيّات الحديّة على مجمل المشهد الثقافي في عالمنا العربي والإسلامي؛ فنادراً ما تجد موقفاً معتدلاً تجاه قضيّة من القضايا، لا سيّما القضايا المصيريّة الحسّاسة التي تتداخل مع الهويّة الثقافيّة لأحد الأطراف. يجسّد الموقف من حضارة الغرب مثالاً نموذجياً يشرح حالة التنافرات الفكرية التي نحن بصددها. ولا غرابة أن يحتل الغرب حيّزاً كبيراً في المناكفات الفكرية المعاصرة كونه الفاعل الحضاري المنتج والمؤثّر في عالم اليوم، ولكوننا شعوباً مستهلكة مصابة بالعجز الحضاري.

لا شكّ وأنّ الغرب لا يشكّل كتلة واحدة، فالمقصود بالحديث عن الغرب سياسته العامّة الخارجيّة تحديداً تجاه الشعوب الأضعف، فالمجتمعات الأوروبيّة محصّنة من داخلها لكون النهضة الأوروبية قامت على جهود فلاسفة ومفكّرين وحقوقيّين عملوا على تعزيز قيم الحريّة والمساواة ضمن المجتمع الواحد. الأمر الذي ساهم مع الوقت في بناء نهضة أوروبيّة حقيقيّة. ولكن، على الرغم من أنّ هذه المجتمعات التي قد تبدو اليوم وكأنّها مثالية على مستوى الحقوق والمساواة، قد تتزعزع صورتها إن أردنا أن نرى المشهد بصورة أشمل، فهذه المجتمعات لم يمضِ على استقرارها الفعليّ أكثر من سبعين عاماً بعد حربين عالميّتين قضى فيهما ما يزيد عن 70 مليون إنسان!

المواقف المضادّة للحضارة الغربية مواقف متشنّجة بطبيعتها، تصدر غالبيّتها عن إسلاميين لا يتمتّعون بالقدر الكافي من الانفتاح على العصر، ذواتهم مهزوزة متشنّجة من الآخر، ولا يستطيعون الحفاظ على مساحة مناسبة للعيش المشترك، مع توضيح المسؤوليّات والمطالبة بالحقوق دون ابتكار أصناف مختلفة من العداء، أو دون تجنّب الأحكام الخاطئة التي تشوّش على القضايا العادلة.. أصحاب هذه المواقف لا يقدّمون أنفسهم كأنصار لحقوق الإنسان والمساواة بين البشر، ولا يسوّقون لأنفسهم كدعاة للديمقراطيّة والحريّات. هؤلاء يقدمون أنفسهم للعالم بدون مساحيق تجميل، وإن كان لديهم ما يفرض احترامه فهي هذه المصداقيّة والانسجام مع الذات، وإن كان انسجاماً مع فكر التطرّف والإلغاء.. فالانسجام والصراحة أصبحا عملتين نادرتين في يومنا هذا!

في الجانب المقابل، نجد موقفاً منصهراً بحضارة الغرب، ويصدر عن تيارات علمانيّة متغربنة بالمطلق من حيث الانتماء الثقافي والجذور الفكريّة. وهي تظهر رغبة في تحديث المجتمعات الإسلاميّة، ولكنّها تسعى في العمق إلى تغيير هويّتها بحيث تصبح نسخة عن المجتمع الحلم. تبطن هذه التيارات مشاعر عدائيّة للمجتمعات ذات التكوين الإسلامي، معتنقة بذلك أكثر الأفكار العداونية تطرّفاً في الغرب تجاه الإسلام وثقافته..

يتماهى مع التيار السابق تيّار إسلامي معتدل، يعيب على بقيّة الإسلاميين عادة ضيق الأفق ومحدوديّة التفكير، والانغلاق على التجربة التاريخيّة للإسلام دون الانفتاح على تجارب الآخرين وقراءتها باعتبارها جزءاً من آيات الآفاق والأنفس.. لا يخفي التيار العلماني انحيازه المطلق لحضارة الغرب، وهو لن يرى لها عيوباً مهما كانت الحقائق دامغة، فالآلية العقلية التي يحاكم بها هذا التيّار الأمور تخضع من جهة إلى الهيمنة الغربيّة التي فعلت بإعلامها الكثير على مستوى الشعوب المغلوبة، وتنطلق من جهة ثانية من تجربة شخصيّة (أو جمعيّة) سيّئة في مجتمعات تعاني من أزمات وعقد مركّبة، حيث تأخذ بعض العقول منحى الحقد على البيئة الاجتماعية وشيطنتها والعمل على قلبها رأساً على عقب، عوضاً عن العمل على تحقيق نهضة حقيقيّة..

وبالمقابل، يوحي تيّار "الاعتدال" الإسلامي إلى خصومه بامتلاكه الحقيقة المطلقة في تقييم الواقع، لكونه يسوّق نفسه، دوناً عن غيره من التيارات الإسلامية، قارئاً لآيات الآفاق والأنفس، ومتتبّعاً لمجريات التاريخ بحسب التوجيه القرآني. لكن، يُظهر هذا التيّار اجتزاءاً غريباً للحقيقة التاريخية والواقعية، وانتقائيّة في قراءة النص القرآني أيضاً.

لا نأتي بجديد إن قلنا إنّ الرفاهيّة والتقدّم الأوروبيين قاما بنسبة كبيرة على استعباد الشعوب واستغلال ثرواتها.. هذا ما يعترف به بعض أصحاب الفكر الحرّ في الغرب بطبيعة الحال، وهذا ليس من أحاديث التاريخ أو من أساطير الأوّلين التي مضت ويمكن طيّها بحيث يمكننا القول بأنّ تلك أمّة قد خلت، بل هو حالة معاصرة مستمرّة لا يمكن فصلها عن طبيعة الحضارة الماديّة التي تعمل على استغلال كلّ شيء حتّى آخر رمق. ولكن، على ما يبدو، فإن الآلية الفكرية عند هذا التيّار تقوم بشكل كبير على تهميش هذا الجانب لصالح التركيز على عيوبنا الذاتيّة، عملاً بالتوجيه الإلهي (حتّى يغيّروا ما بأنفسهم). وهذه الانتقائيّة في اختيار التوجيهات الإلهيّة تعكس خللاً كبيراً في هذا التفكير. ففي المجتمع المكّي، وحين كان تعداد الجماعة المسلمة لا يزيد كثيراً عن أصابع اليد الواحدة، كانت هذه الجماعة تواجه مجتمع الاستكبار بدون مهادنة، وكان الخطاب القرآني يوصّف حالة المترفين والمسرفين والطغاة بأوضح العبارات، في الوقت الذي يدعو المسلمين إلى الانشغال بالعمل على بناء الذات.. لا يستوي الادّعاء بامتلاك القراءة السليمة للتاريخ مع تجاهل على درجة عالية من الأهميّة: فالتاريخ الأوروبي لا يقتصر على تفوّق حضاري، وإنتاج صناعي، وحريّات عامّة، واتحاد أوروبي، وإلغاء العبوديّة.. إلى آخر الإنجازات التي لا يستطيع أحد نكرانها. فكل ما سبق يمثّل نصف حقيقة، بينما يتلخّص نصفها الآخر في أنّ هذا التفوّق لم يكن ليصبح على ما هو عليه لولا أنّ هذه الحضارة قامت (وما تزال) على الاستيطان والاستعمار، وعلى سرقة الشعوب وثرواتها، واستهلاك ظاهر الأرض وباطنها، وعلى التأسيس لعبوديّة جديدة تفوق العبودية القديمة وحشيّة ومهانة، ثمّ جعلت الإعلان العالمي لحقوق الإنسان إعلاناً خاصّاً بالإنسان الأوروبي وبرعايا الدول الغربية داخل حدودها..

على مستوى الفهم القرآني، يُظهر هذا التيّار انتقائية تشابه انتقائيّته في قراءة التاريخ، وهو يوحي لخصومه، من جديد، امتلاكه للحقيقة المطلقة في فهمه للقرآن. على الرغم من أنّه ينتقي منه (فقط) ما ينسجم مع أفكار الغرب، معتبراً الآيات المنتقاة (والتي تتمحور حول حريّة المعتقد والانشغال بإصلاح الذات) آيات تمثّل، دوناً عن غيرها، عصب المنهج القرآني.. يتحاشى تيّار الاعتدال التطرّق إلى نصوص كثيرة جداً تتعارض مع الجوهر الماديّ لهذه الحضارة، وتوصّف بعبارات صارمة الكثير من "الفواحش" التي شرعنتها حضارة الغرب، ولكنّه، مع ذلك، يريد أن يقنع خصومه (من المتطرّفين) بأنّ فهمه للخطاب القرآني هو الفهم الأقرب للصواب! مع أنّ مجاله الفكريّ لا يتعدّى الـ 50 بالمئة من الفضاء القرآنيّ! وهو بذلك لا يختلف عن خصومه في الاجتزاء، والانتقاء، وفي سوء الفهم والتقدير في كثير من الأحيان..

يمثّل فهم دور الغرب جزءاً هامّاً من فهم الواقع وفهم دورنا فيه. يريد بعضهم أن يقول لنا، بشكل أو بآخر، بأنّ دور هذه الأمّة قد انتهى.. هكذا وبكل بساطة! وإنّ أقصى ما يمكنها فعله هو اللحاق الأعمى بالغرب.. يسعى غالبيّة العلمانيّين، تحت ستار التحديث والتجديد، للترويج لفكرة ذهاب العصر القرآني إلى غير رجعة لصالح صعود عصر ماديّ يتم تسويقه على أنّه إنسانيّ. ويتماهى معهم تيار الاعتدال في انتقاء النصوص الموافقة للمدّ الجديد، عاملاً على إخفاء بقيّة النصوص التي توضّح الموقف القرآني من توحّش الشهوات والماديّة..

ويبقى نجاة الأمّة مرهوناً بظهور جيل قادر على فهم عوامل تطوّر الغرب والاستفادة منه.. جيل لا يخجل من إظهار هويّته الثقافيّة وذاته الحضاريّة.. ويؤمن بأنّ التبعيّة ليست قدراً محتوماً على هذه الأمّة..

من أجل سوريا موحدة

علي العبدالله

في كتاب "من الانتداب إلى الانقلاب" عرضت الأستاذة سعاد جروس لمعركة خاضتها الحركة الوطنية السورية، ممثلة بالكتلة الوطنية، من أجل ضمان وحدة سوريا أرضا وشعبا، ضد الانتداب الفرنسي، الذي قسّم سوريا إلى خمس دويلات، وضد قوى سورية تبنت هذا التقسيم وسعت إلى تكريسه عبر المطالبة بكيانات خاصة لاعتبارات مذهبية وقومية(تيار علوي في الساحل وآخر درزي في السويداء وثالث سرياني- كردي في الجزيرة السورية).

وقد نجحت الكتلة الوطنية في تغليب الاتجاه الوحدوي عبر العمل على الأرض مع القوى المؤيدة لسوريا واحدة في المحافظات الثلاثة وتعزيز صفوفهم والتأثير على أصحاب الرأي الآخر، ما اضطر المندوب السامي الفرنسي إلى العودة عن قرار التقسيم وإعادة توحيد سوريا في دولة واحدة ونظام سياسي واحد.

غير أن مشاريع تقسيم المنطقة، بما فيها سوريا، لم تتوقف، وقد سعت إسرائيل إلى تقسيم الدول العربية إلى دول دينية ومذهبية كي تضعف أعداءها من جهة وتبرر طبيعتها الدينية من جهة ثانية وطرحت لذلك مشروعا أعده بن غوريون قائم على افتعال حرب أهلية ممولة إسرائيليا وخلق اضطرابات بين طوائفه واستغلال المآسي والقطيعة النفسية في تقسيم البلد، وناقشه اجتماع وزاري عقد يوم 27/2/1954 ضم كلا من موشية شاريت وبن غوريون، واسحاق لافون. عارض شاريت، كان رئيسا للوزارة حينها، الفكرة لان الموارنة ليسوا أغلبية، ولأن إعلان دولة مارونية سيؤدي إلى اندماج المسلمين مع أراضيهم الشاسعة جدا بسوريا، وبذلك تصبح الدولة المارونية محاطة بدولة إسلامية ضخمة، وعدم وجود ضمانات مادية ومعنوية كافية دوليا وإقليميا للمشروع. وقد جرى عرض المشروع على اللبنانيين يوم 12/2/1955 في لقاء عقد بين الياهو ساسون، السفير الإسرائيلي في روما، ونجيب صغير، ممثلا عن كميل شمعون، وتمت مناقشة شروط التنفيذ، وبُعث بعد حرب الـ 67 عند وصول دايان إلى وزارة الدفاع حيث بدأ البحث عن ضابط ماروني مستعد لإعلان دولة منقذة للموارنة وعن ذريعة(عمليات فدائية تنطلق من لبنان). يمكن اعتبار دولة لبنان الجنوبي التي أعلنها سعد حداد تجسيدا عمليا للمشروع.

وسّعت إسرائيل الفكرة لتشمل معظم الدول العربية. ففي دراسة كتبها "يديد ينون" تحت عنوان "إستراتيجية لإسرائيل في الثمانينيات"، اعتبر فيها سلطات الأمر الواقع التي أفرزتها الحرب الأهلية في لبنان خريطة للبنان الجديد المكون من خمسة كانتونات، ورأى فيها نموذجا لتفتيت دول المشرق العربي إلى أقاليم ذات طابع قومي وديني، وعليه سوف تظهر في سوريا دويلة علوية على الساحل، ودويلة سنية في دمشق، ودويلة سنية ثانية في حلب، معادية لدويلة دمشق، ودويلة للدروز في الجولان وحوران.

انطلق الكاتب من "إن جميع الدول العربية الموجودة إلى الشرق من إسرائيل مقسمة ومفككة من الداخل"، و"إن سوريا لا تختلف اختلافا جوهريا عن دولة لبنان الطائفية باستثناء النظام العسكري القوي الذي يحكمها، ولكن الحرب الداخلية اليوم (يشير إلى الصراع الذي انفجر في الثمانينات بين النظام وجماعة الإخوان المسلمين) بين الأغلبية السنيّة والأقلية الحاكمة من الشيعة العلويين، الذين يشكلون 12 في المائة من عدد السكان، تدل على مدى خطورة المشكلة الداخلية".

واضح أن دعاة التقسيم يستندون إلى ما تعرفه المعادلة الوطنية من تفكك داخلي ويعتمدون على الحرب الأهلية كبيئة لولادة التقسيم. فالتفكك الداخلي الذي ترتب على فشل الأنظمة الوطنية وعجزها عن التعاطي مع العصر وشروطه ومتطلباته من جهة وعلى لعب الأنظمة التسلطية على هذا التعدد والتباين لإضعاف المجتمع والسيطرة عليه بتكريس الفرقة والهشاشة الوطنية من جهة ثانية. فقد بقيت الأنظمة الوطنية التي تسلمت السلطة بعد الاستقلال أسيرة تصوراتها ومفاهيمها التقليدية والخلط بين الدولة المستندة إلى الجماعة الدينية والدولة المستندة إلى الجماعة الوطنية ما جعلها اقرب إلى سلطة سنيّة منها إلى سلطة وطنية جامعة، في حين غذت الأنظمة التسلطية الانقسامات ووظفتها للاستئثار بالسلطة ولجم تطلعات المجتمع إلى الحرية والكرامة والمشاركة في صياغة القرار الوطني، عبر تعزيز مخاوف الأقليات، وإدارة الحياة الوطنية بالترويج لخطر الأغلبية وتشكيل تحالف الأقليات.

أطل مشروع التقسيم برأسه مجددا في ضوء الانقسام الطائفي والهواجس والمخاوف بين أبناء المجتمع وبخاصة أبناء الأديان والمذاهب الإسلامية الصغيرة بسبب انخراط إيران في الصراع إلى جانب النظام وتعميقها الشرخ بين السّنة والشيعة بزجها الميليشيات الشيعية في الصراع إلى جانب النظام، وبروز الحركات السلفية ومشروعها لإقامة خلافة إسلامية وتطبيق ما تعتبره شرع الله وسلوكها الهمجي ضد أبناء الأديان والمذاهب الأخرى، وتبني روسيا سياسة حماية الأقليات لتبرير الدور الذي تلعبه في الصراع في سوريا وعليها حيث وقفت منذ انطلاق الثورة إلى جانب النظام ودعمته سياسيا وعسكريا وماليا.

لن تتراجع الهواجس والمخاوف ويتجه المجتمع إلى التعافي والاندماج تحت سقف وطن واحد ونحافظ على الدولة السورية ما لم يتحرر المجتمع من ذهنية عزل المختلف ورفضه من جهة وذهنية الحصار والتقوقع الذي يعيشه أبناء الأديان والمذاهب الإسلامية الصغيرة من جهة ثانية، وهذا لن يتحقق دون صياغة النظام السياسي وفق اعتبارات وطنية بعيدا عن منطق الأكثرية والأقلية الدينية أو المذهبية أو العرقية، وإقامة دولة وطنية حديثة ترتكز إلى الجماعة الوطنية، كأساس موضوعي للاندماج الوطني، وما لم يصغ عقد اجتماعي أساسه المواطنة والمساواة في الحقوق والواجبات والحريات العامة والخاصة يجسد وحدة المجتمع وكيانه الوطني الجامع. وهذا يستدعي من قوى الثورة، السياسية والعسكرية، الاقتداء بأسلافهم في الكتلة الوطنية الذين أعادوا إلى سوريا وحدتها عبر الحوار الوطني مع أبناء الأديان والقوميات والمذاهب الصغيرة، والتحرك لرأب الصدع عبر التصرف العملي بدلالة سوريا الواحدة الموحدة أرضا وشعبا.

الصفقة النووية: سياقها ودلالاتها

إبراهيم الأصيل- باحث سوري

تنجرف النقاشات السياسية كثيراً نحو ما نتمنّى أن يحصل، بدلاً من أن تركّز حول تفسير ما يحصل وما يمكن أن يحصل. بالنسبة للصفقة النووية مع إيران، فمن المفيد أن نستعرض سياق الأحداث بشكل سريع ومختصر.

بدأت الأزمة بين إيران والمجتمع الدولي منذ الثورة الإسلامية سنة 1979، واتبعت إيران نهجاً عدوانياً في علاقاتها الخارجية، مما أدى لفرض طبقات مختلفة من العقوبات الاقتصادية عليها، جزء هام منها مرتبط ببرنامجها النووي. وباختصار، فإن إيران سعت لامتلاك سلاح نووي، وقطعت شوطاً نحو إحراز هذا الهدف واستمرّت في العمل على ذلك، وكانت الحلول المقترحة سابقاً لإيقافها هي إما حل عسكري، أو حل سياسي، أو مزيج بين الحلّين.

الحل العسكري يعني تنفيذ ضربات جوية يقوم بها سلاح الجو الإسرائيلي، كما فعل سابقاً في العراق وسوريا، أو الطيران الأمريكي. تشير التقديرات العسكرية إلى أن الطيران الإسرائيلي قادر على إلحاق أضرار بالمنشآت النووية الإيرانية وتأخير برنامجها لسنتين، ولكنه لن يكون قادراً على إلحاق أذى جدّي بمنشأة فوردو لأنها مبنية تحت الصخر. أما اذا قام الطيران الأمريكي بالضربات فسيتم إلحاق أضرار جسيمة بالمنشآت النووية ومن ضمنها فوردو، وسيتم تأخير البرنامج أربع سنوات. إنهاء البرنامج النووي يتطلب تدخلاً برياً، وسيكون لذلك تكاليف مادية وبشرية هائلة، وهو غير مضمون النتائج بأي شكل من الأشكال.

إذاً، الحل العسكري لا يستطيع إنهاء البرنامج النووي، وهناك خطر أن يؤدي لحرب أوسع إذا ما قامت إيران بالرد مما قد يؤدي لمواجهة شاملة في المنطقة، أو حتى إذا ما ردت إيران بطرق غير متناظرة عن طريق عمليات انتقامية وتفجيرات ضدّ مصالح الولايات المتحدة وشركائها. كما أن الضربة العسكرية ستؤدي إلى سيطرة المتشددين في النظام الإيراني وتوسع نفوذهم على حساب الشخصيات الأقرب للاعتدال، وبذلك يتضاءل احتمال الدفع نحو حل سياسي، وغالباً ما ستستمر إيران بتطوير قدراتها النووية بعدها وسيصبح سلوكها في المنطقة أكثر شراسة.

بناءً على ما سبق، تابعت الدول الست (أعضاء مجلس الأمن الدائمين بالإضافة لألمانيا) بقيادة الولايات المتحدة مفاوضاتها مع إيران. يدافع مناصرو الصفقة عن المفاوضات مع إيران على أنها الحل الوحيد، ويقرّون بأن المفاوضات لن تزيل البرنامج النووي الإيراني، ولكنها قادرة على تأخيره عدد من السنوات أكثر من الحل العسكري، مع فتح الباب للمزيد من المفاوضات مستقبلاً حول ملفات أخرى.

تم الوصول للصفقة النهائية في 14 تموز (يوليو) 2015. وملخص الصفقة أن تقوم إيران بسحب ثلثي أجهزة الطرد المركزي وتزيل 95% من اليورانيوم المخصب، ويتم قطع الطريق على احتمال استخدام البلوتونيوم، وأن تزداد عمليات التفتيش، مقابل رفع العقوبات الاقتصادية عن إيران (المرتبطة بالبرنامج النووي)، علماً أن القيود على تخصيب اليورانيوم ستكون لخمسة عشرة سنة فقط.

والتحدي هو ما الذي سيحصل بعد هذه المدة؟ يراهن البعض على تغيير سلوك النظام الإيراني حتى ذلك الوقت، بينما يرى آخرون أن المشكلة ستعود لنقطة الصفر حينها، وربما أسوأ.

ولهذه الصفقة معارضون كثر وبوجهات نظر منطقية ومخاوف مشروعة، سواءً في الشرق الأوسط أو الولايات المتحدة. يرى المعارضون للصفقة أن التفاوض مع إيران أعطى النظام الإيراني شرعية دولية، وسيستغل النظام الإيراني رفع العقوبات الاقتصادية في تمويل عملياته الإرهابية وعملائه في المنطقة من الخليج حتى العراق وسوريا ولبنان، وسيرفع مقدار دعمه للأسد ليزيد من إجرامه، وسيتابع تدخله في شؤون دول المنطقة سواءً بشكل سياسي أو عسكري.

وفي إيران هناك معارضون للصفقة أيضاً من المتشددين، فهم يرون أن أي صفقة مع الولايات المتحدة تضر بأهداف الثورة الإسلامية في إيران وتتعارض معها، وحاول أعضاء في المجلس (البرلمان الإيراني) تعطيل المفاوضات والتهديد برفضها حتى وإن تم التوقيع عليها.

ارتكبت الولايات المتحدة خطأً استراتيجياً في المفاوضات، فكانت فزعة من إفساد المفاوضات مع إيران بشكل مبالغ فيه، ولذلك تحاشت مواجهة إيران في أي من الملفات الأخرى، كالملف السوري، بينما كانت إيران تفاوض على الملف النووي، وتتصرف بعدوانية في الملفات الأخرى دون أن تخشى إفساد المفاوضات، وأدى ذلك لأن تتوسع إيران أمام عطالة في سياسة الولايات المتحدة. كان يتوجب على الولايات المتحدة أن تتصرف ببقية الملفات بمعزل عن المفاوضات النووية، تماماً كما فعلت إيران، تفاوض كأنها لا تواجه في ملفات أخرى، وتواجه في الملفات الأخرى كأنها لا تفاوض في الملف النووي.

واليوم، سواءً كنّا من أنصار أو معارضي الصفقة، فالصفقة تم توقيعها، والأسئلة هي عن آثارها، وما يمكن فعله، وهنا بعض النقط حول ذلك:

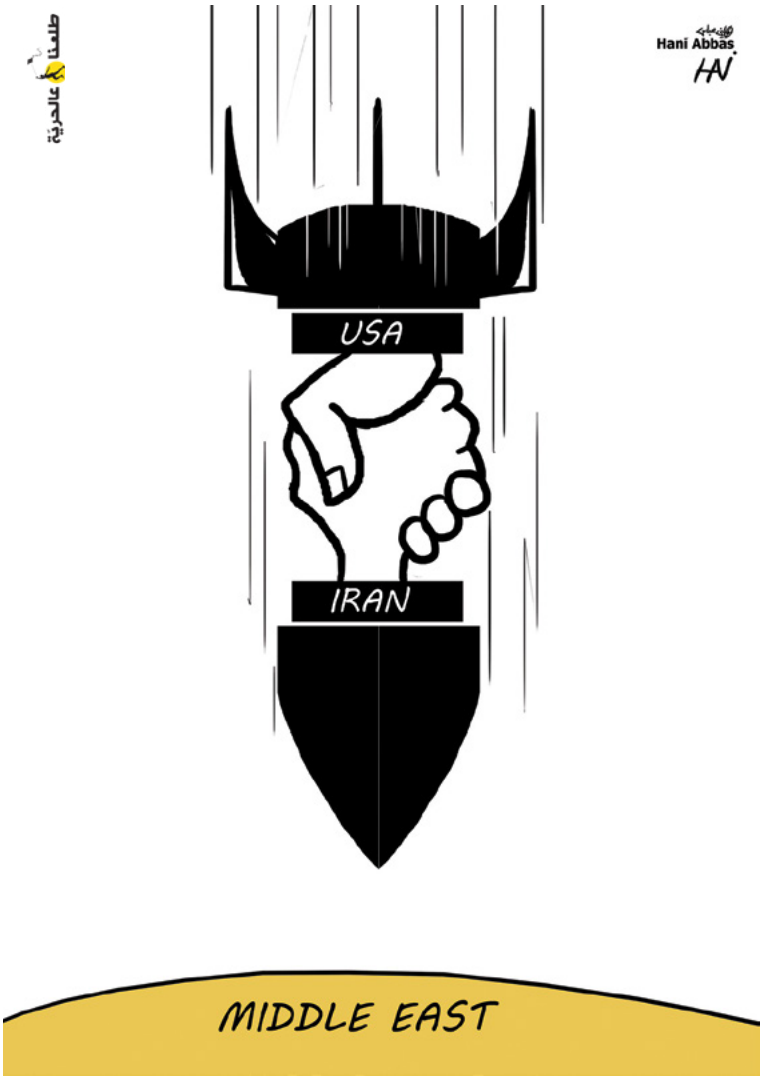

تتمة المقال عن الصفقة النووية

1 - لا شك بأن طائفية النظام الإيراني وطموحاته التوسعية لا تقل خطورة عن إمكانياته النووية المحتملة. وسياساته في المنطقة لزعزعة الاستقرار من أكبر الهواجس الأمنية إقليمياً ودولياً. والوصول لصفقة مع النظام الإيراني لا يعني أبداً أنه سيغير من توجهاته العدوانية.

2 - لا علاقة مباشرة بين نتائج الصفقة وحجم المساعدات لنظام الأسد، بالنسبة لطبيعة النظام الإيراني وتاريخه فسياسته الخارجية ليست مرتبطة بقدرته الاقتصادية بقدر ما هي مبنية على إرادته السياسية، ولم يكن على مدى العقود الماضية أي ارتباط بين وضع الاقتصاد الإيراني وسياسات النظام الخارجية. والحروب التي تخوضها إيران ليست مكلفة نسبياً لأنها تتبع وسائل غير متناظرة ولا تقوم بها على أرضها (لا تستخدم جيوشاً تقليدية، ورواتب الميليشيات في العراق وسوريا تستنزف نسبة ضئيلة من الإمكانيات الإيرانية، والكثير من المساعدات اقتصر على تقديم النفط الذي لم تستطع بيعه أصلاً في الأسواق العالمية، وجميعها لا تتخطى اثنين بالمئة من الناتج الإيراني). الوضع الاقتصادي الإيراني سيكون أفضل، ولكن لا يعني بالضرورة زيادة الإنفاق على حروب الوكالة. فهذا، وإن كان محتملاً، مرتبط بعوامل سياسية أخرى.

3 - الاقتصاد الإيراني سيتحسّن بلا شك، ولكن نسبة التحسن ليست مرتبطة فقط برفع العقوبات، وإنما بقدرة النظام الإيراني على إعادة هيكلة الاقتصاد ومكافحة الفساد، وهذه المشاكل لا تقل خطورة على الاقتصاد الإيراني من العقوبات، وإلا ستعود الفائدة على دائرة النظام الضيقة والحرس الثوري وشبكاته الاقتصادية فقط، وهذا يعني استمرار الاحتقان في إيران من الطبقة الوسطى تجاه النظام.

4 - سوريا لم تكن جزءاً من المفاوضات، ورفض الإيرانيون إدخال الملفات الإقليمية الأخرى في المحادثات، وأشارت الأطراف المتفاوضة إلى إمكانية الانتقال لبحث ملفات أخرى بعد الانتهاء من الملف النووي.

5 - من المستبعد أن يحصل تحوّل كبير في العلاقات الإيرانية-الأمريكية على المدى القصير والمتوسط، فإيران ما زالت نظاماً متطرّفاً توسعياً يناصب الولايات المتحدة العداء منذ حوالي 36 سنة، وأمريكا ما زالت "الشيطان الأكبر" في إيران، والنظام الإيراني مبني على هذه الرؤية للولايات المتحدة والغرب، وتغييره لها يعني انتحاره. ولكن بلا شك هناك احتمال أن يبدأ انزياح في الرأي العام الأمريكي تجاه إيران على حساب دول الخليج العربي. وبالنسبة لدول الخليج، فالتنسيق والعمل على تأسيس منظومة أمن ودفاع مشترك حاجة ملحة اليوم أكثر من أي يوم مضى.

للصفقة آثار عميقة على الشرق الأوسط بشكل خاص، وهي تؤسس لنمط جديد من العلاقات دولياً، كما أنها ليست نهاية التبدلات السياسية في المنطقة، وإنما بداية لمرحلة أخرى، وما يزال هناك الكثير من المتغيرات، وما يقوم به كل طرف في الفترة القادمة لا يقل أهمية عن الصفقة، لأن هذه التحركات ستشارك في رسم معالم المنطقة والصراعات فيها. سيتحرك اللاعبون سعياً وراء مصالحهم ضمن المعطيات الجديدة، وخصوصاً الدول السنية وفي مقدمتها السعودية وتركيا، وستبحث هذه الدول عن قواسم مشتركة فيما بينها لاحتواء التمدد الإيراني. أما فيما يتعلق بسوريا فيتوجب الضغط على الولايات المتحدة لتضغط على النظام الإيراني لاستخدام روافعه ليدفع الأسد لإيقاف استخدام الطيران في ضرب المدن وإلقاء البراميل والعمل على رفع الحصار عن المدنيين، وإذا كانت حجتها سابقاً بأنها لا تريد إفساد المفاوضات، فالمفاوضات انتهت، والمسؤولية السياسية والأخلاقية ترتب على الولايات المتحدة والمجتمع الدولي أن يتحركوا بخصوص الأزمة في سوريا، وإلا فلن تؤدي الصفقة إلا للمزيد من العنف والاقتتال في المنطقة، وارتفاع حدة الصراع الطائفي، والرابح الأكبر سيكون الميليشيات والتنظيمات المتطرفة، وعلى رأسها "داعش"

إرادة الحريّة

شوكت غرز الدين

أراد الشعب السوريّ الحريّة، ووضعها في أعلى سلم أولوياته برسم التحقيق. وكان لا يملك حينها إلاّ "إرادة الحريّة"، غير آبه بـ "إرادة القوّة" المتجسدة بموازين القوى ومفاعيل الزمن والمصالح التي يمتلكها النظام السوريّ وحلفاؤه العضويين. فيخرج الشعب السوريّ بهذا على طبيعته المحددة سلفاً في العلوم والأديان لأنه يخرج من الحسابات الضيقة إلى حسابات المجد.

فعلى الرغم من معرفة الشعب السوريّ لـ "إرادة القوّة" وما تمثله من تهديد لأمنه واستقراره وحتى مصيره، بسط الشعب السوريّ "إرادة الحريّة"، وقدّم لها التضحيات الأسطوريّة من أرواح وأملاك؛ لتحقيق دولته الوطنيّة ذات النظام الديمقراطي. وهي التي من المفترض أنْ تكون عاملاً أساسياً في إلغاء "واجب العبودية" الملقى على كاهله، وتؤسس لأمن واستقرار منطقة شرق المتوسط، وتساهم في تراجع الإرهاب لعدم تعدّيها الحدود الوطنيّة الجيوسياسيّة.

ولكن، مع تصدّي "إرادة القوّة" عند النظام "السوبرمان" وحلفائه العضويين لـ "إرادة الحريّة" عند الشعب السوريّ، تشظى الشعب السوريّ -بوصفه حاملاً لإرادة الحريّة وباسطاً لها في التاريخ- وكأنه تعرض لانفجار نووي إلى ما لانهاية له من الذرات المتحاجزة والمتكاونة. الشيء الذي أدى إلى ظهور الإرهاب بحلته الداعشيّة الجديدة القديمة في آن. وقد هدفت "إرادة القوّة" من تصديها بالقوّة المتنوعة لإرادة الحريّة إلى خلق الإرهاب وتوظيفه لصالح بقائها من جهة، وإلى المحافظة على "واجب العبوديّة" العزيز على قلبها من جهة ثانية. فالاثنان: الإرهاب وواجب العبودية، هما الابنان الشرعيان لـ "إرادة القوّة" عبر التاريخ.

وهكذا، اشتد الصراع في سوريّا بين الإرادتين: "إرادة الحريّة" ضد "إرادة القوّة". البطل في إرادة الحريّة هو الشعب السوريّ، أما في إرادة القوّة فهو "السوبرمان". الشعب السوريّ بوصفه مصدراً للقوة والحقيقة والثروة الكامنين بفاعليته، والسوبرمان بوصفه فرداً تكونت قوته بعتاده الحربي وحقيقته مستمدة من خارجه وثروته في المواد الأولية والفساد. وهو مغرور يرى نفسه بمرآة أوهامه الخاصّة.

يُمثّل الشعب السوريّ إرادة الحريّة؛ لاتخاذه من الحريّة هدفاً أعلى في سلم أولوياته نقيضاً للاستبداد والإخضاع بالقوّة واحتكار القوّة والثروة والحقيقة من جهة، ولتقدّمه الغالي والنفيس من أجل تحقيق الحريّة وبسطها وإنمائها من جهة ثانية. أمّا إرادة القوّة فيُمثّلها "سوبرمان" ما؛ فمرّة يكون سوبرماناً سورياً كالأسد، الجعفري، المعلم، النمر، الجولاني، علوش. ومرّة ثانية يكون إقليمياً كالخامنئي، نصرالله، البغدادي. وأخرى يكون دولياً كبوتين، لافروف. ويستخدم مثل هذا "السوبرمان" القوّة بمختلف تنوعاتها لكسر "إرادة الحريّة" والمحافظة على احتكار "إرادة القوّة".

وعلى الرغم من محاولات "إرادة القوّة" المتراكمة سابقاً لبعثرة وتشتيت "إرادة الحريّة"، واستخدامها استراتيجيات متنوعة وطويلة الأمد، إلا أن "إرادة الحرية" ظهرت كطائر الفينيق من الرماد ... لتلهم آمال الأحرار في العالم. ولذلك خافت "إرادة القوّة" من "إرادة الحريّة" فولدّت الإرهاب، كما خافت مرة في ألمانيا فولدّت النازية. يجب أنْ لا ننسى أنَّ "إرادة القوّة الهتلرية" هي البنت الشرعية لأفكار "نيتشه"، الفيلسوف الذي أسسها، وحتى أنَّ الفيلسوف "هيدغر" هلل لها.

البقية في صفحة 13...

نحن هم حاملو لواء مشروع التقسيم

أبو القاسم السوري

إن واقع الصراع في سورية يؤشر بما لا يدع مجالاً للشك أن المعادلة العامة للصراع ما زالت ثابتة بين أطراف هذا الصراع منذ اليوم الأول إلى الآن، وهي معادلة من الطبيعة الصفرية التي ينظر فيها كل طرف إلى فناء الطرف الآخر كحل وحيد لبقائه والحفاظ على وجوده. ولعل هذا الأمر يمكن أن يفسر مستويات العنف التي وصل إليها الصراع كما يفسر أيضاً العجز عن الوصول إلى أي حل سياسي لهذا الصراع.

ومع تفاقم الآفات الناتجة عن امتداد الصراع في سورية، وما رافق هذا الامتداد من انعكاسات مدمرة سواء بالداخل السوري أو على المستوى الإقليمي والدولي أصبح طرح البحث عن حل لهذا الصراع ركناً أساسياً من أي اجتماع يتعلق بالمنطقة. ورغم تعدد الطروحات إلا أنه لم يستطع أي أحد طرح أي مبادرة أو خارطة سياسية للحل قابلة أن تنجز أو تتحقق، وخاصة مع تعدد الأطراف الفاعلة في الصراع واختلاف أجنداتها، مما دفع العديد من المطابخ السياسية على مستوى العالم لطرح فكرة التقسيم كحل يمكن له أن يطبق لأنه لا يمكن إيجاد حل ضمن نطاق جغرافي جامع لكل هذه الأطراف. وأنا اعتقد أن هذا الطرح هو في نفس السياق الذي حاول دي مستورا تسويقه ضمن فكرة تجميد الصراع والقائمة على فكرة تخفيض مستوى الصراع من خلال فرض هدن وتهدئة على الأطراف، ولكن دي مستورا اصطدم بحائط عدم الثقة الموجود بين الأطراف والذي رسّخه أساساً غدر النظام وإجرامه الذي فاق كل الحدود. وعليه فاعتقد أن مراكز صناعة القرار الإقليمية والدولية رأت ضرورة فرض هذا الأمر كأمر واقع ضمن استراتيجية تقوم على أساس فرز مناطق جغرافية صافية اللون سياسياً سواء لجهة قوى المعارضة أو لجهة قوى النظام. ولعل عملية تحرير إدلب وما يحدث في درعا وحلب يندرج في هذا السياق. وعليه يمكن القول إن التطورات العسكرية الأخيرة الناتجة عن التحالف الإقليمي التركي السعودي القطري هي بهدف تغيير قواعد الصراع، وليس بهدف حسم الصراع، ولعل العنوان الرئيسي للمرحلة القادمة سيكون (مناطق حكم غير مركزية) أي لا ترتبط ضمن الدولة السورية. وما يزيد الطين بلة أن المناطق التي تخرج عن سيطرة النظام يتشكل فيها نماذج متعارضة مع بعضها والأخطر أنها تتعارض مع أهداف الثورة ومبادئها، وهذا أمر ضرره بعيد المدى على

المستوى الاستراتيجي، ولعل خطورة تشكيل مناطق حكم منفصلة مناطقياً قد تكون خطوة أولى نحو مشروع التقسيم، وخاصة أن العديد من المراكز السياسة الإقليمية والعالمية تطرح بقوة مشروع التقسيم كحل وحيد قابل للتطبيق في الجغرافية السورية نتيجة قراءتها للوضع السوري.

ولا يختلف اثنان على أن فكرة التقسيم تخالف المبادئ السامية التي قامت عليها الثورة السورية ولعلها من المحرمات ضمن الوعي السوري الوطني الجمعي وما يتأتى عن هذا الوعي من هوية وطنية سورية ترسخت خلال القرن العشرين. ولعل هذا الأمر يمكن أن يفسر مدى الرفض الذي تبديه أغلب قوى المعارضة بكل أطيافها لهذا الطرح ولكن السؤال الرئيسي هو: هل يكفي أن أرفض مشروع التقسيم بالأقوال وأنا أرسخه بالأفعال حقيقية؟ أليست السياسية هي ما يحدث في الواقع وليس ما يقال في العلن؟ لكن كيف يحدث ذلك؟

إن رفض مشروع التقسيم يكون من خلال تبني فكرة الدولة الوطنية الجامعة المحددة الإقليم والشعب والمتفق ولو جزئياً على شكل سلطتها المستقبلية، ولكن واقع الحال السوري ليس كذلك؛ فمقومات الدولة الرئيسية هي محل اختلاف بين قوى المعارضة، فكل جهة تريد بناء دولتها الخاصة على أنقاض سورية وعليه فإن رفضنا لمشروع التقسيم يكون بانتقالنا نحو اتفاق على مقومات الدولة السورية ومؤسساتها وخاصة المؤسسة العسكرية أي من خلال بناء جيش وطني جامع، ولكن طالما كل فصيل عسكري، ما زال يتمسك بفصيله ويراه السبيل للوصول إلى دولته المزعومة التي يطمح لها، فإننا حينها نكون نحن من نرسخ التقسيم فعلياً وحينها علينا أن نكفّ عن لوم الخارج بأنه من يريد فرض مشروع التقسيم علينا، لأننا نحن أهل مكة ونحن أدرى بشعابها. وإذا كان مشروع التقسيم لا يتناسب مع ثورتنا وفكرنا كما ندعي، فعلينا أن نتبنى مشروعاً سياسياً واضح المعالم مضاداً له قائماً على أساس تحرير سوريا من النظام الغاشم وبناء الدولة السورية الوطنية الجديدة بكل مقومات الدولة الحديثة.

عن (فارس) بائع الورد ومانح الحب

رامي العاشق*

الفقدُ: أن تلوكَ قطعة من كبدك ثم تبصقها، فلا أنت أخرستَ جوعك، ولا أوقفتَ فطرة الافتراس على حدود مظلوميّتك! الفقدُ ضئيلٌ هزيلٌ في ميزان العدالة مهما ثقُلَت فجيعتُه وعظُم نحيبُه، هزيلٌ لأنّه خاصٌّ ومحدودٌ بمن يفتقد الغائب/المغيَّب، ضئيلٌ أمام شموليّة الغياب وعدله، لا أحد أقوى من الغياب، وإنّنا لا نعرف الغياب، وحدهم الغائبون يعرفونه، نحن نعرف أثره، ونفقد/نفتقد من غابوا/غُيّبوا، فمن يفقد (فارس) اليوم؟ ومن يفتقده؟

(فارس) الهارب من الموت والعائد إليه، الهارب لأسباب نعرفها والعائد لأسباب لا نعرفها، كان ابن ستّ سنوات حين قرّر أن يمنح الجميلات وردًا في شارع الحمرا، الجميلات لن يطلب منهنّ ثمن الوردة، سيهديها إليهنّ بدون مقابل، وسيفتح نافذة الفرح على سجون الناس، الأمر أعمق من "عمالة الأطفال"، هل يمكننا اعتبار "منح الحب" للناس عملًا؟ فليكُن إذن!

فارس الهارب من شرق سوريا (الحسكة) إلى مدينة الجمال (بيروت) من الحرب إلى الحب، يرقص ببراعة للعشّاق في الشارع، يقلّد (مايكل جاكسون) ويوزّع الحبَّ على جميع الناس، ويمنح حبًّا مضاعفًا لأولئك الذين يشبهونه ويكبرونه بأجيال من السوريين الهاربين من الموت. كان يخفي حزنه وخذلانه كي يحافظ على صورة مانح الحبّ المتنقّل، وإذا خابت تجارته ولم يبع وروده كلّها كان يأوي إلى الأزقّة البيروتيّة الخلفيّة حيث لا يراه الناس.. ويبكي! لم يقبل أن يذهب مع شادي(1) إلى المخيّم ليلتحق بمدارس أطفال اللاجئين السوريين، كان يريد مدرسة دائمة لا تنقطع!

من يوقف هذا الغياب الذي يبتلع الجمال؟ من يكسر أصنامه ويحطّم أسطورته؟ من يرفع سؤاله عاليًا في وجهه؟ من يقف في وجه طائرة حربيّة أمريكيّة أخطأت هدفها كالعادة وأصابت فارس؟ من يقف في وجه طائرة حربيّة

الطفل فارس استشهد بقصف طيران التحالف في الحسكة، الصورة بعدسة شادي أبو كرم

سورية لم تخطئ هدفها وقتلت غيره؟ من أغلق الحدود في وجه هروبه الثاني؟ من قتل فارس؟

- إنها الحرب!

- لا ليست الحرب، فارس ليس ضحيّة حرب، لا ضحايا للحرب، الحرب ضحيّتنا نحن، الحرب ذاتٌ مسلوبة الإرادة، لا بندقيّة تطلق لوحدها، لا سجن يبنى من تلقاء نفسه، ولا تمطر السماء قنابل وبراميل!

رحل فارس، من سيضحك الآن في وجه السماء العابسة، السماء التي ترجمت عبوسها قنابل، التي تنتقم من مانحي الحبِّ وأبنائه، قليلون هم أبناء الحبّ كثيرون اعداؤه، من سيرفع إصبعه في وجه الموت مبتسمًا؟ من لهؤلاء العشّاق الثكالى في ثكلهم؟ لم يكن فارسَ "أحلامهن" لكنّه كان فارس "يقظتهم" وخالق "ضحكتهم" من العدم، فارس الأبُ الذي يخفي دموعه عن أبنائه، الراقص في وجه القذيفة التي لم تصبه والتي أصابته، الضاحك في وجه صبيّة خانها الحنين ليقول لها: "هَي الوردة إلك يا حلوة"، لا ورد في مدينة الحبّ بعد الآن، كلّ الورد الأحمر دمه، كلّ المطر دمعه، كلّ الموسيقا ضحكته، كلّ الرقص فارس.

*شاعر وكاتب صحافي فلسطيني سوري.

... تتمة من صفحة 11

وبدأت المحاولات الدوليّة المحمومة الممثلة أيضاً لـ "إرادة" القوّة" بالسعي لتغيير أولوية الأولويات السوريّة وتحويلها من "إرادة الحريّة" إلى "واجب محاربة الإرهاب الداعشيّ". هنا بات الشعب السوريّ إزاء صراع ملتبس كالتباس الحقّ مع ابن عمه. فهذا السعي ما هو إلاّ دعم لـ "السوبرمان" وانتصار لـ "إرادة القوّة" على "إرادة الحريّة". وما الدعوة لتحالف إقليمي يكون "معجزة" بين النظام السوريّ وتركيّا والسعوديّة والأردن إلاّ خير دليل على هذا الدعم بعد فشل "إرادة القوّة" لدى التحالف الدولي السابق.

نعم، لقد وقع التناقض بين "إرادة الحريّة" التي نريدها وبين "إرادة القوّة" التي نعايشها. ولا يبقى أمامنا سوى أمرين اثنين؛ إما القضاء على إرادتنا بالحريّة، وإما القضاء على أنفسنا. ولكن، بالرغم من هذا التناقض الفجّ علينا الانتباه إلى أنَّ إرادة الحريّة هي الكفيلة بالقضاء على الإرهاب وأنَّ إرادة القوّة هي الكفيلة بنمو الإرهاب. وبالتالي فإنَّ محاربة الإرهاب لا تكون البتة بإرادة القوّة وإنما بإرادة الحريّة. فلهذا يجب أنْ لا تضيع "إرادة الحريّة" في دهاليز "إرادة القوّة".

إذن، يقع على عاتق "إرادة الحريّة" الاستمرار في التصدي لـ "إرادة القوّة" وما يتفرع عنها من "واجب العبوديّة" ومن "واجب محاربة الإرهاب". والتصدي كذلك لمن يريد أن يعيدها إلى طبيعتها التي تسامت عليها، ولمن يرجئها وينتظر الفرج مقايضاً أمنه بحريّته، ولمن يقف في "منزلة بين المنزلتين" فلا هو مناصراً لـ "إرادة الحريّة" ولا لـ "إرادة القوّة"؛ إنَّه بلا إرادة. ويقع على عاتق الأحرار توحيد الشعب السوري المتشظي.

الكرد من مقصلة الاستبداد إلى جلد الثورة

سردار ملا درويش -صحفي كردي سوري

لم يشفع دفاع الكرد عن سوريا ضد الاحتلالين العثماني والفرنسي، ومشاركتهم في بناء سوريا ما بعد الاستقلال، بأن ينالوا حقوقهم من الحكومات السورية المتتابعة، بل أفرزت مراحل صراع مع الأنظمة الحاكمة، لاقوا خلالها شتى أنواع الظلم والقهر والسياسات التعسفية، خلال عهد الوحدة السورية -المصرية، ومن ثم استلام البعث زمام الحكم في سوريا وغيرهما.

كان للكرد في العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي منتديات وجمعيات، يناضلون عبرها من أجل حقوقهم والتعريف بقضيتهم، فيما كان بالطرف الآخر أي في باقي أجزاء كردستان في العراق وتركيا وإيران، نضالاً شهد ثورات مسلحة، بينما في سوريا اقتصر الأمر على الإيمان بالنضال السلمي، تكلل في الرابع عشر من حزيران عام 1957 بتشكيل أول حزب سياسي كردي باسم "الحزب الديمقراطي الكردي في سوريا-البارتي".

نتج عن نضال الكرد في سوريا محاربةً من الأنظمة المتسلطة، وزج السياسيين الكرد المطالبين بحقوق أبناء جلدتهم في السجون، وهم يقفون في وجه السياسيات العنصرية المتبعة بحق الكرد، أبرزها كان بيان السياسيين لوقف مشروع "الحزام العربي" الذي تم تنفيذه في عام 1974، وعلى إثره اعتقل قادة كرد لأكثر من ثمان سنوات. المشروع ذاك تلا مشروع عنصري أخر نُفذ عام 1962، جرد فيه عشراتٍ آلاف الكرد من جنسيتهم السورية وحقوقهم المدنية.

اعتمد الكرد دائماً في قراراتهم على مرجعيتهم السياسية المتمثلة بالأحزاب الكردية في سوريا، والتي بغالبيتها آمنت بالنضال السلمي، ولم تمارس يوماً النضال المسلح، حتى أنها رفعت في مطبوعاتها (التي كانت تُطبع وتوزع بشكل سري) شعار النضال السلمي، والمطالبة بإزالة الاضطهاد القومي وإلغاء المشاريع العنصرية والقوانين الاستثنائية بحق الشعب الكردي، والعمل على تمتين أواصر الأخوة العربية-الكردية، وتأمين الحقوق السياسية والثقافية والاجتماعية للشعب الكردي في "سوريا"، والمطالبة بالديمقراطية للبلاد. أي أن الكرد لم يكونوا دعاة للعمل المسلح والعنف من أجل خلاص البلاد من الديكتاتوريات، وهو ما اثبتته الانتفاضة الكردية في آذار من عام 2004، حيث خرج المتظاهرون الكرد في جميع المدن الكردية، واسقطوا التماثيل التي تمثل رموز النظام، دون أي عملٍ عنفي أو حملٍ للسلاح، رغم محاولة النظام شيطنة الكرد واتهامهم بالانفصاليين، حتى باتت هذه النظرة سائدة منذ أعوام 2004 إن لم نقل قبلها أيضاً، وربما حتى الآن، في نظر الكثير من السوريين.

مع انطلاقة الربيع العربي، انتظر الكرد بشغف اندلاع الثورة في سوريا، وهم الأكثر تضرراً من النظام القائم المستمر في سياساته العنصرية تجاههم، لذا لم يتوان الكرد منذ الأسابيع الأولى عن الانخراط في الثورة السورية بمناطقهم، والخروج في تظاهرات عارمة، متمسكين بنهج السلمية والتغيير الديمقراطي، رافعين أعلام الثورة والأعلام الكردية، التي هوجم الكرد بسببها من قبل السوريين عامة، لماذا الكرد يحملون أعلاماً كردية! كما رأى آخرون أنها تشي بالانفصال، كل ذلك حقيقة لعدم وجود قراءة سورية عامة عن الكرد، أو معرفة وإدراك بنضالهم ورمزية وقدسية العلم بالنسبة لهم.

يدرك معظم أهالي محافظة الحسكة بأن الحراك الثوري فيها كان بغالبية كردية ومشاركة قليلة من باقي مكونات المنطقة، حتى أن وسائل الإعلام كانت شاهدة أيام الجمعة بنقل التظاهرات من المناطق الكردية "رأس العين (سري كانيه) والدرباسية وعامودا والقامشلي (قامشلو) والمالكية (ديريك)"، وغيرها من المدن، ورغم أن تلك المظاهرات كانت تحمل طابعاً جمعياً يطبعه الوجود الشبابي إلا أن الأحزاب الكردية بقياداتها كانت مشاركة ومتواجدة أيضاً، و كانت المظاهرات تهتف للمدن السورية الأخرى، وتحلم بإنهاء النظام القائم، لكن النظام السوري تعامل مع المنطقة كباقي المناطق التي يقطنها الأقليات، ليُبين أن الثورة تحمل طابعاً مذهبياً سنياً، مع يقظة تجاه محركي التظاهرات من الشباب الكرد في مناطقهم.

مع بداية عسكرة الثورة، كان الكرد قد شكلوا مجالس سياسية تمثلهم كالمجلس الوطني الكردي ومجلس شعب غربي كردستان، واللذان ضما الأحزاب الكردية والتنظيمات الشبابية والمستقلين، وتشكيل مجالس محلية للحفاظ على المنطقة من الفوضى، رافضين فكرة عسكرة المنطقة، أو حمل السلاح، أو دخول كتائب مسلحة للمنطقة، لكن هذا لم يدم طويلاً ففي أواخر عام 2012، دخلت مجموعات مسلحة بايديولجية معينة غير كردية إلى مدينة "رأس العين- سري كانيه" التي تعتبر بوابة منطقة الجزيرة "ذات الغالبية الكردي"، في ظل استنكار شعبي أدى لهروب غالبية الكرد من المنطقة، برفض تام لوجود هؤلاء، لتتحول المنطقة بعد تبيان حقيقة أن القوى العسكرية التي دخلت لا تعمل لصالح الثورة، إلى ساحة صراع عسكري، تخللها ظهور قوة عسكرية كردية وقفت في وجه تلك الكتائب.

إجبار الكرد على المقاومة المسلحة والدفاع عن المنطقة عبر "وحدات حماية الشعب" لم يكن إلا خياراً إجبارياً للكرد، فإما الرضوخ لتلك القوى التي مع دخولها شردت الأهالي وهجرتهم، وأهانت العلم الكردي، أو اعتبار أن القوى العسكرية الكردية، هي الجهة التي تستطيع الدفاع عن المناطق، ليكون الخيار الثاني أسلم لأهالي المنطقة!

من مرحلة اتهام النظام للكرد بالانفصال، وترسيخ الفكرة من قبل الثوار السوريون، ودخول الكتائب، تغير مشهد الثورة في المنطقة، وبدأ ظهور نمطية صراع من نوع أخر، تم التأجيج له مؤخراً باتهامات حول تهجير الكرد للعرب من المنطقة، ومحاولة الكرد تشكيل كيان مستقل، شارك فيه غالبية السوريين، دون رؤية هؤلاء لتاريخ الكرد ونضالهم في سوريا، وحتى نضالهم في الثورة، أو قراءة جغرافية المنطقة التي لا تسمح بالانفصال، رافعين شعارات تم زرعها مسبقاً في رؤوسهم، غير آبهين أن هذا الصراع سيوصل الطرفين لصراع لا يفيد البلاد. حتى أن العقلاء لم يحاولوا إيقاف التشنج منه إلى ضبط النفس، أو محاولة كسب الكرد كمكون أساسي في سوريا.

واقع الحال يقول، إن العودة لقراءة تاريخ الكرد بات أمراً ضرورياً، وفهم وإدراك إيمانهم بالتغيير السلمي، والنظر إلى مشاركتهم الفاعلة في الثورة وتأثيرها ومخاوف النظام من تحركهم، بالإضافة لمحاولة إبطال الافتراءات على الأقل من قبل السوريين المؤمنين بسلمية الثورة والتغيير السلمي، بعد أن بات الأمل مفقوداً من الغالبية.

غياب الإعلام الدولي وتغيرات المشهد السوري

باسل مطر - مشروع سلامتك

لعب الناشطون الإعلاميون والمواطنون الصحفيون في سوريا دوراً عظيما في نقل الأحداث للعالم في عام 2011 حين كانت الثورة في مرحلتها السلمية وحين كانت السلطات السورية تمنع الصحفيين الأجانب من القدوم إلى سوريا لتغطية الأحداث هناك. ومع تصاعد العنف والعنف المقابل وتحول الثورة إلى كفاح مسلّح, خرجت مناطق في الشمال السوري عن سيطرة النظام ووقعت في أيدي المعارضة, وغدا ممكناً لوسائل الإعلام الدولية الدخول إلى سوريا, حيث جرت تغطية الأزمة بكل مناحيها تقريبا, مع التركيز على الأوضاع الإنسانية ونقل صورة عن المأساة التي حلت بهذا البلد.

وبين العامين 2012 و2013 ومع تراجع نفوذ النظام في كثير من المناطق تدفق عدد كبير من الصحفيين الأجانب إلى سوريا, وتمكن الناشطون والكتائب المقاتلة في الجيش الحر ومجموعات أخرى معتدلة من حمايتهم وتأمينهم داخل المناطق التي يغطون الأحداث فيها, بما ذلك المناطق التي لم تخرج كليا عن سيطرة النظام مثل حمص وريف دمشق وجبال اللاذقية ودرعا. ومع تصاعد العنف, وتزايد نفوذ "الدولة الإسلامية" أصبح من المتعذر على هؤلاء الصحفيين العمل في سوريا, سيما بعد أن أصبحوا هدفاً للتنظيم, وأصبح الأخير يوثق قتلهم من خلال أفلام ذات صبغة درامية تهدف إلى إرهاب الإعلام الذي يحاول تحدي التنظيم والحديث عنه بما لا يحب. لم يبتدع التنظيم الإرهابي هذا الأسلوب دون شك, فقد سبقه إليه عصابات المخدرات في المسكيك, وتنظيم القاعدة, والده الشرعي, والخمير الحمر, لكنه أضفى عليه صبغة درامية مروعة وجديدة.

كان لذلك التغير في المشهد السوري عقبات خطيرة على مصداقية الأخبار الواردة منه, والتي عاد لينقلها ناشطون إعلاميون ومواطنون صحفيون لا يمتلكون الخبرة والمهنية التي تمتع بها الصحفيون الأجانب الذين لم يعد بإمكانهم القيام بعملهم هناك رغم امتلاكهم لحس المغامرة والاجتهاد والاخلاص لما يقومون به, ولم تخلو المعلومات والأخبار الواردة بطبيعة الحال من انحياز وغياب للموضوعية, مما جعل نقل الحقائق أكثر صعوبة, وجعل عمل المؤسسات الإعلامية الدولية أكثر صعوبة في ظل هذه التطورات.

يتشعب المشهدي الإعلامي الثوري كثيرا, فهناك المئات من المجموعات الإعلامية الصغيرة والكبيرة التي تسعى لنقل الحدث, لكن العالم اليوم أصبح منشغلاً بقضايا أخرى بعد أن أصابه الإعياء من المحنة السورية, وبعد أن أصبحت الأخبار الواردة من هناك رتيبة ومتكررة رغم فداحتها, لكن سوريا فقدت فعلا اهتمام وقدرة الإعلام الدولي على متابعة أخبارها بشكل مهني وموضوعي إلى حد بعيد.

لم يقتصر استهداف الإعلاميين الأجانب على داعش, فقد قامت مجموعات أخرى باختطاف صحفيين أجانب بهدف الحصول على فدية مالية, لكن هذا لم يردع الآخرين في الحقيقة من التوجه إلى سوريا رغم هذه الأخطار, فالعمل الصحفي في ميادين الحروب والنزاعات لا يخلو من هذه المخاطر, وهو أمر يعيه من يقدم عليه بطبيعة الحال.

تجد الثورة السورية اليوم نفسها رهينة الخبرة والتمويل المحدودين للإعلام المحلي البديل, وغياب تغطية الإعلام المهني الدولي, والإعياء الذي حل بالعالم جراء استمرار هذه المحرقة, وإعلام النظام وحلفائه الذي يعتمد على البروباغندا التي تخاطب القطيع, ويعج بالإكاذيب, وبين تحول اهتمام كوكب الأرض عن تغطية مأساة القرن لصالح الحديث المؤدلج عن داعش والإرهاب الإسلامي.

الإعلام المضلل
الأورينت نموذجاً

فادي محمد

كثرت الابحاث حول مفهوم الايديولوجيا، كمنظومة افكار مترابطة تعطي الذهن راحة عدم الاسئلة، وتعتبر نفسها بديلاً عن الواقع مدعية انها الواقع.

لسنا هنا بصدد تقييم صلاح هذه الايديولوجيا او تلك، بل بالضبط نتمسك بالتوصيف السابق ونزيد عليه، انها ذات جزأين أحدهما يحاكي الحقيقة والآخر يعمي عنها، الاول يدفعها ويشرعها في وعي الناس، والثاني يضلل وعيهم، وللأسف فقد اقتصر دور بعض وسائل الاعلام المصنفة ثوريا كقناة أورينت على محاكاة كل منظومة ايديولوجية مطروحة مرتضية لنفسها ان تكون كاريكاتيرا مشوها عنها.

فمن منظومة ايديولوجية بدأت بالتكون عام 2011، قوامها احلام مشروعة وعظيمة تحدثت عن شعب سوري واحد موحد، يهدف الى اقامة دولة مدنية ديمقراطية، لا مكان للطائفية او الاثنية او اية تقسيمات اخرى في حاضره ومستقبله، منظومة طهرانية ملائكية قطعت مع الموجود والارث الخطير القابع في وعينا وواقعنا، قطعت دفعة واحدة، دون مراجعة او تدقيق، رفضت ان ترى ذات الواقع، ورفضت ان تتعرض للنقد، لأنها لم تر الا ذاتها الطهرانية المستقبلية مقصية تعب الماضي والحاضر، الى منظومة عام 2015، الماضوية نقيضة الاولى التي لم تعد تتحدث عن مستقبل حلمت به الاولى، واستغنت كذلك بقطع مفاجئ ودفعة واحدة عن سابقتها لتطرح صيغة مذاهب وطوائف واقليات واكثرية وتكوينات قومية واثنية مستقلة عن بعضها البعض، ضاربة بعرض الحائط مقولة المنظومة الاولى (الشعب السوري واحد).

وبالرغم من التباين والتناقض ما بين المنظومتين، الا انهما تشابهتا بالتضليل، ليس هذا التضليل مقصودا، بل هي طبيعة الايديولوجيا المدعومة حتى النهاية بإعلام ينسخها ويعيد انتاجها، اعلام انتقل بسلاسة بين المتناقضات كاشفا سطحيته وضحالة القيمين عليه.

ما تم تضليله بالدرجة الأولى كان معرفة أنفسنا. الطهرانية الأولى الرافضة للنقد، قالت بطائفتين (عبيد واحرار) متجاوزة ومختزلة واقعاً بالغ التعقيد وإرثاً تاريخياً معانداً لأن نكون كتلة واحدة قد تسمى مجتمعا، وتعاملت مع الواقع بمقولة ابدا ليست صحيحة اننا شعب واحد موحد.

أما المنظومة الماضوية فقد وصّفت الواقع بأكثرية سنية ثائرة تقاتل ميلشيات اطلقت عليها الصفة الطائفية (ميلشيات شيعية او درزية.. الخ) متجاهلة ان تلك الميليشيات لا تمثل ابدا الاقليات الواقفة بمعظمها على الحياد (السويداء لها مثلاً موقف عام يتبناه الآلاف من شبانها ضد التجنيد والخدمة في جيش النظام)، ومتجاهلة ايضاً ان من اهم دعائم النظام شرائح واسعة من السنة.

لم تقدم لنا المنظومتان الا خلطا وتعمية، والعازف الاكبر للمنظومتين دون ان يشعر بنفاقه، هو اعلام مغذي لغرقنا وتخبطنا، مانع لوعينا من معرفة ذاتنا، هذه المعرفة المقدمة لخلاصنا.